بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أنزل الكتاب المحكم المبين قرآنا عربيا للناس أجمعين، نزل به الروح الأمين على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي العالمين ، أفصح من نطق بلسان عربي مبين ، وأبلغ من وصف بالبيان والتبيين ، أما بعد :

فقد تناولت في هذا الكتاب مجموعة من البحوث المهمة في مجال علم اللغة شغلت اللغويين قديما وحديثا ، مثل مفهوم اللغة ، وموضوعها ، ومناهجها ، ونشأة اللغة وعلاقة اللغة بالمجتمع ، والعربية الفصيحة ، ومصادرها ، واللهجات ، واللغة المنطوقة واللغة المكتوبة واللغات السامية ، ولم أسترسل فيما لا فائدة منه ، ومالا علم لنا به ، وما ليس لدينا دليل فيه ضربنا عنه صفحا لئلا نضل أو نضلل غيرنا ، أو أن نقول بالباطل منكرا من القول وزورا ، فنحمل أثقالنا وأثقال من أضللنا ، ولم أشأ أن أثقل على إخواني الدارسين بما أرهقنا به غيرنا وشغلونا به من أخبار عن اللغة التي تكلم بها آدم، واختلاف الألسنة ، ولغة أهل الجنة ، وأصل اللغات ، وأول العرب ، وأول من كتب ، وغير ذلك من الموضوعات التي تفضي إلى الجدل والخلاف دون فائدة ترتجي ، غافلين عما هو أهم وأجدى نفعًا ، وهو أن نهتم بلغتنا العربية وأن نبحثها وأن نعالج قضاياها، ومشكلاتها في العصر الحديث ، وأن نتصدى للمخاطر التي تهددها ، وأن نبحث عن وسيلة ميسرة تجعلها في المكانة الأولى في التواصل اليومي ، وأن نرتقي بمستوى المجتمع لغويا ، وأن نبحث عن وسائل حديثة تدعم تدريسها وتيسره للنشء .

وأدعو نفسي وإخواني أن يجعلوا دارسة اللغة نفسها هدفهم الأساسي ، دون إعادة طرح هذه الموضوعات العقيمة التي لا دليل على صحة وجه منها إلا الظن ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، ومعظم أدلتها مصنوعة أو ضعيفة أو تأويل أو الاحتجاج بالنص في غير موضعه ، وهذا كله ليس من العلم في شيء ولا يقيم حقيقة ، ولن يغني العربية في شيء عما هي فيه من سوء حال بين أبنائها ، فاللغة العربية تحتاج دراسة علمية في

ضوء مناهج البحث الحديث ، ويجب أن نستعين في دراستنا اللغة العربية بتقنيات العصر الحديث ، وجميع الوسائل الحديثة التي تعين في تدريس العربية والارتقاء بها .

وأهم ما يمكن أن ندرسه دراسة واعية بعيدا عن طرح الموضوعات النظرية العقيمة ، مستويات البنية اللغوية الأربعة : المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى المعجمي وقد أفردت فيهم كتابا مستقلا [1] ، وجعلت كتابي هذا مدخلا في علم اللغة ، وطرحت فيه بعض الموضوعات التي تجب دراستها ومعرفتها قبل بحث القضايا التي تتعلق بمتن اللغة أو بنيتها ، ولكنني لم أجد بدا من مناقشة بعض القضايا التي تتعلق بنشأة اللغة ؛ لأنها تملأ الكتب وبها كثير من المزايدات التي لا يقبلها عقل .

واللغة مجموعة من الرموز الصوتية Symbols،Linguistic يعبر بها الإنسان عن نفسه في تواصله مع الآخرين ، وتعد اللغة جزءا من المنظومة الاجتماعية التي تحمل في خواطرها مجموعة من الأفكار ، والمقاصد، والرغبات التي تلح عليها ، وترغب في تحقيقها ، ولهذا كانت أولى مراحل اللغة شفاهية أو منطوقة ، فلم تعرف اللغة المكتوبة إلا في زمن متأخر بعد أن عرف الإنسان الاستقرار والعمران ، وظهرت الحاجة إلى تدوين ما يتكلمه ليحتفظ به دون أن يضيع في هوة النسيان ، فكانت الكتابة أعظم اكتشاف بشري خدم العلم .

وقد بحثت اللغة المنطوقة والمكتوبة ، وبينت الأمر فيهما تبيينًا ، ولا يعني بحث اللغة المنطوقة أنني من أنصار العامية ، فاللغة المنطوقة لا تعني العامية ، بل أعني اللغة العربية المنطوقة ، فقد عاشت العربية الأولى فترة طويلة منطوقة حتى بدأ التدوين في القرن الأول الهجري ، واستمر حتى القرن الرابع ؛ فدونت مصادر اللغة الأصلية ، وأبطل العلماء الأخذ عن الخطاب المنطوق بعد ذلك ، لأنه لم يعد يمثل مستوى العربية الفصيحة بل مستوى من مستويات اللغة المنطوقة ، وقد وقع فيها اللحن والدخيل ، وقد كان المنطوق

---

(1) كتاب التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، نشرته دار النشر للجامعات .

هو الأساس في اللغة ، فأصبح المكتوب مصدرا ، والمنطوق لا يعتد به ، لأنه لم يعد عربيًا خالصًا ، وقد شارك فيه المسلمون جميعا ، وقد كان من قبل لسانا عربيا خالصا ، وقد حلت العامية المعاصرة محل هذا اللسان العربي المبين المشترك بين العرب ، ونحن نرجو من أولى الأمر ومحبي العربية وأنصار القومية أن تتكاتف جهودهم معا ، للارتقاء بمستوى الخطاب اليومي ، والارتفاع به عن مستواه العامي الهزيل إلى مستوى العربية الفصحى، وذلك عن طريق وسائل الإعلام والبرامج الموجهة والأعمال الفنية التي يتربى عليها النشء، ويتثقف عليها المجتمع البسيط .

فوسائل الإعلام تعد أعظم وسيلة تعليمية ميسرة تستطيع أن تؤدي خدمات جليلة في نشر اللغة العربية الفصحى الميسرة والارتقاء بالمواطن لغويا دون أموال تهدر أو مجهود أو كتب تتلف ، وأيسر تلك الوسائل التعليمية أن يلتزم رجال الإعلام بمستوى العربية الميسر في خطابهم الإعلامي ، وأعمالهم الفنية التي تعرض في الإذاعة والقنوات المرئية ، فالمتلقي يتأثر سريعا بلغة الخطاب الإعلامي .

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يصلح أمرنا ويوفق جهودنا ويشد أزرنا ، ويبلغنا رشدنا ، وأن يعفو عما زلّت فيه أقلامنا ، وما عجز عنه فهمنا أو ما ضعف فيه رأينا ، فهذا مبلغ عملنا ، وفوق كل ذي علم عليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

الإسكندرية – جليم

رجب 1423هـ ، أكتوبر

2002م